

التربية الدينية وتمثّلها في المجتمع الجزائري

سنوسي سفيّة

جامعة أبي بكر بلقايد (تلمسان)

Abstract

Ce thème se propose d'étudier d'une part l'éducation religieuse en mettant les manifestations et les représentations dans la société algérienne en exergue que ce soit au niveau de la source comme la mosquée ou l'école coranique mais également au sein de l'école publique et à l'université. D'autre part nous cherchons à élucider et à évaluer le degré d'influence que ces établissements exercent sur la personnalité de l'individu.

mots clés: éducation, religion, représentation, société algérienne

1_ مقدمة:

تعتبر التربية ضرورة فردية واجتماعية لوجود أي مجتمع، وأداة لاستمراره ودوام ثقافته، وهي وليدة خبرات المجتمع، وأنماط حياته التي تكونت عبر التاريخ، وتعكس قيمه وأنظمته وأفكاره ومعتقداته، وهي بذلك تتناول طبيعة الإنسان في جميع أبعاد حياته وتسعى إلى تشكيل شخصيته في إطار ثقافة المجتمع. ومن العوامل المساعدة على فهم التربية في المجتمع التعرف على مؤسساتها التربوية، مما يساعد على فهم ثقافتها ومقومات شخصيتها.

ويعتبر الدين أحد أهم عناصر الثقافة في المجتمع، وهو محور الحياة البشرية، حيث اهتم الإسلام بالتربية والتعليم وقدم منهجا تربويا متكاملا. وانتشر التعليم الديني نتيجة دخول الإسلام إلى الجزائر لتعليم الأهالي مبادئ دينهم، انتشرت المساجد والكتاتيب والزوايا والمدارس النظامية والجامعات، يحتل فيها الدين مكانة هامة في مناهجها ومقرراتها الدراسية، تسهم في تنشئة الفرد وتربيته تربية دينية.

وعلى أساس هذا الطرح لابدّ من معالجة الإشكالية التالية:

- ما مدى تأثير التربية الدينية في الشخصية الجزائرية المسلمة؟

- وكيف تتجسد صور التربية الدينية في المجتمع الجزائري؟

2_ مفهوم التربية الدينية:

قبل الحديث عن مفهوم التربية الدينية لابد أن نبدأ بتحديد مفهوم التربية والذي نصت قواميس اللغة العربية قديمها وحديثها مفهوم التربية بتعريفات جد خصبة حيث يقول في هذا الصدد العلامة اللغوي ابن منظور في لسانه الشهير أن التربية تدل على عملية التأديب والتنشئة والتعهد بالتنمية⁽¹⁾، وتشير معاجم اللغة من بينهم معجم الوسيط، رب الولد وتعهده بما يفيدته وينميه ويؤدبه⁽²⁾

أما عن المعنى الاصطلاحي لا نريد أن نتوقف أمام كم كبير من التعريفات المتداولة في عدد كبير من الكتابات التربوية ذلك أن هناك اختلافات بينها واضحة تعكس درجة ونوعية المستوى الحضاري الذي ظهرت في كنفه وكذلك زاوية الرؤية لمن يكتب ويحلل فضلا عما يكون عليه من تخصص حيث يختلف معنى التربية ومفهومها باختلاف الدراسة النفسية والاجتماعية والحضارية في نظرهما للفرد والمجتمع ومن أكثر المعاني تقبلا وشبوعا لدى أهل الاختصاص في عصرنا الحاضر هذا المعنى الذي يجعل من التربية عملية إعداد الإنسان منذ طفولته للحياة في الجماعة التي ينتمي إليها عن طريق المشاركة في حياة هذه الجماعة.

أما عن طبيعة عملية التربية فظاهر مما تقدم أنها عملية إحداث تغير في الطفل في جسمه وفي قدراته وفي تفكيره وفي عاداته وفي ميوله واتجاهاته ... الخ أي في جوانب شخصيته المختلفة كلها بحيث يصبح بعد هذا التغير غير ما

كان قبله مع افتراض أن تؤدي هذه العملية إلى رفع كفاءته الشخصية والاجتماعية⁽³⁾ يقول ابن هلال: "التربية أداة للتغير الثقافي ... وهذا اعتراف من المجتمع ومن المفكرين بأن التربية يمكن أن تكون أداة فعالة في تطوير ثقافة المجتمع وتغييرها نحو اتجاه بحيث يقدم أغراض ذلك المجتمع وأهدافه"⁽⁴⁾.

— معنى الدين في الاصطلاح اللغوي: العادة والحكم، والجزاء والطاعة، ومعناه في الاصطلاح الشرعي: أنه وضع إلهي سائق بذوي العقول باختيارهم إياه إلى الصلاح والخير في الدنيا وإلى الفلاح والسعادة في الآخرة" فهو بهذا المفهوم القوانين الاعتقادية التي جاءت عن طريق الوحي الإلهي: لهداية الناس وإرشادهم، والدين ميل طبيعي عالمي وجد مع الإنسان منذ وجد على الكوكب الأرضي، وهو لون من ألوان الثقافة أو عنصر من عناصرها، والدين ظاهرة اجتماعية لا ينفرد بها مجتمع دون آخر، فهو اتجاه في النفوس البشرية في الحاجة إلى الأمن والحماية في ظل قوة خارقة مسيطرة على الكون وعوالمه، لها سلطة لا تعدلها سلطة أخرى، وهو خيرة يتولد عنها إحساس داخلي يؤثر في سلوك الفرد عندما يحاول إيجاد العلاقة بينه وبين ربه فهو بذلك يتناول ناحية العقيدة التي تربط الفرد بربه ومن ناحية السلوك فيما يختص علاقة الفرد بالله، وعلاقته بأفراد مجتمعه ويتضمن الدين أصولا عقائدية وفروعا عملية، فالأصول تشمل الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ... والفروع تشتمل العبادات والمعاملات والأخلاق الدينية .

المقصود بالتربية الدينية:

التربية الدينية هي "إعداد الفرد المسلم إعدادا كاملا من جميع النواحي في جميع مراحل نموه للحياة الدنيا والآخرة في ضوء المبادئ والقيم وفي ضوء أساليب وطرق التربية التي جاء بها الإسلام"⁽⁵⁾.

التربية الدينية "هي تلك المفاهيم التي يرتبط بعضها في إطار فكري واحد يستند إلى المبادئ والقيم التي أتى بها الإسلام والتي ترسم عددا من الإجراءات والطرائق العلمية يؤدي تنفيذها إلى أن يسلك سالكها سلوكا يتفق وعقيدة الإسلام"⁽⁶⁾.

فالتربية الدينية تعتمد على جانبين الجانب العملي يتمثل في ممارسة الفضائل واداء الفرائض وملاحظة للآباء وهم يقومون بذلك والجانب النظري أو المعرفة النظرية بأصول الدين ومبادئه وقواعد الشريعة السمحة، فهي نظام ومنهج تربوي شامل له أسسه العقيدية والمعرفية والنفسية والاجتماعية، وله نظرياته الخاصة التي يتم اعتمادها منهجا لتربية الفرد وبناء المجتمع كما يعرفها الدكتور سعيد اسماعيل على انها منظومة متكاملة من نسق معرفي من المفاهيم والعمليات والأساليب والقيم، والتنظيمات التي يرتبط بعضها ببعض الآخر في تآزر واتساق تقوم على التصور الإسلامي لله والكون والإنسان والمجتمع وتسعى إلى تحقيق العبودية لله بتنمية شخصية الإنسان بصفته فردا أو جماعة من جوانبها المختلفة بما يتفق والمقاصد الكلية للشريعة التي تسعى لخير الإنسان في الدنيا والآخرة".

3_ التنشئة الاجتماعية وبناء الشخصية:

تعد التنشئة الاجتماعية من العمليات التي تجعل الأفراد يمثلون للقواعد النظامية وهي التي تشكل وجدان الفرد واتجاهاته في مراحل طفولته المختلفة، تعينه على تفهم الحياة الاجتماعية في حاضرها ومستقبلها حيث تشمل عملية التنشئة الاجتماعية على مجموعة من المكونات البنائية التي يكتسب من خلالها الفرد بعض خصائص شخصيته، ومنها القيم والرموز والأخلاق، والمعتقدات والمعايير مذهبية الاعتقاد فتتشكل بذلك أساليب وعمليات التنشئة داخل المجتمع.

التنشئة الاجتماعية هي عملية التفاعل التي يتم من خلالها تكيف الفرد مع بيئته الاجتماعية وتشكيله ليتمثل معايير مجتمعه، وتقوم أساساً على نقل التراث الثقافي والاجتماعي وتعد عملية اجتماعية تحدث تغيرات مباشرة في البيئة المحيطة وتؤثر بشكل مباشر على سلوك الطفل عن طريق ما تتضمنه من أساليب إيجاباً أو سلباً في تدعيم أو تعديل سلوكه في المواقف المختلفة، ومن خلال عملية التنشئة يتعلم فيها الطفل أن يسلك ما يتفق مع ما تتطلبه من أدوار، ومع ما تتوقعه أعضاء الجماعة من سلوك وتصرفات. وتهدف تلك العملية إلى تربية الطفل ومساعدة أن ينمو طبيعياً في حدود أقصى ما تؤهله له قدراته من الناحية العقلية النفسية والجسمية والاجتماعية والروحية.

الدين وتأثيره في الشخصية:

باعتبار الدين عامل مؤثر في النفس الإنسانية ويتبين أثره كعامل حسم أو عامل صراع في النفس إذا ما اختلت التوازنات في إدراك مفاهيمه وفي تعاملاته داخل النفس وفي تأثيراته على الشخصية (من التطرف إلى الاعتدال). إن الأفكار الدينية هي إحساسات وانفعالات بالدرجة الأولى ويعبر عنها كارل يونغ بقوله "أن الأفكار الدينية ما هي إلا تعبيرات عن استبصارات عميقة ونحن نقول أن الميول الدينية عوامل مهمة تنبت وتنمو تحت غطاء الشعور" (7).

ويضيف زيعور بقوله: "القرآن كتاب ذو تأثير يومي في حياة الفرد يوجه سلوكه وآدابه وفكره وحياته، ليكون إلى حد بعيد جداً الشخصية الفردية ولا شعورها الجماعي، ويفقد اللا شعور الفردي في شتى النشاطات الاجتماعية والذاتية، والمفاهيم القرآنية تغطي إذن الذات في علاقتها مع الأنأ والآخر، وهي تلف يوم الإنسان وغده ونظرته للكون وللظواهر والخلود،

وإنما ركيزة أولى في الثقافة والحضارة وفي التاريخ وفي الواقع الراهن، ورسم صورة المستقبل⁽⁸⁾، ويضيف بركات بقوله "يلعب الدين الإسلامي دورا أساسيا في صياغة سلوك الأفراد والجماعات في العالم العربي سواء أكان دينا رسميا أو شعبيا، وتبرز في الدين الرسمي الكلمة والسنة، فيما تبرز في الدين الشعبي الشخص والوجدان"⁽⁹⁾.

ومن خلال ذلك الذين تأثر الدين على الشخصية كما يلي:

- إن للإنسان دوافع بيولوجية ونفسية واجتماعية، والإسلام بما أنه دين الفطرة لا يمكنه أن يمنع هذه الدوافع مادامت في الإطار الاجتماعي الذي وضعه الإسلام لتنظيم المجتمع.

الدين وتأثيراته الاجتماعية.

إذا كان الدين هو نظام عقلائي منطقي موزون يتكون من مجموعة المعتقدات والمبادئ والقيم والطقوس السلوكية الخاصة بعبادة الله سبحانه وتعالى، والخضوع لمشيئته وأوامره وتعاليمه الربانية، والالتزام برسائله الإلهية التي نزلها على الناس عبر الرسل والأنبياء الصالحين الذين هم بمثابة الوصل بين الله عباده المطلوب هدايتهم وتقويم سلوكهم، وللدين أثره النفسي والاجتماعي العميق في نفوس الأفراد المؤمنين به، ذلك لأنه يحدد إطار تفكيرهم الإلهي ويعين سلوكهم اليومي ويرسم نمط حياتهم، ويضع إيديولوجيتهم التي تصوغ تصرفهم وعلاقاتهم الخاصة والعامة.

إن الدين يتعلق بالعبادات كعبادة الله سبحانه وتعالى والإيمان بالرسل والأنبياء والملائكة، والأماكن المقدسة ويتعلق بالجنة والنار والعقاب والتواب ويتعلق بيوم الحساب والفروض الأساسية وللدين والأوامر والنواهي والمحرمات وأخيرا يتعلق بالقيم والمقاييس والمثل والأخلاق التي تنظم علاقات

الأفراد وتهدب سلوكهم اليوم وتجعلهم متحايين مع مبادئ المجتمع ومعتقداته وأفكاره السماوية والدينية.

والجدير بالإشارة أن الدين مرتبط بالإيمان عند الفرد، فالإيمان هو أساس الاعتقاد بالله سبحانه وتعالى والاعتقاد بالكتب السماوية المقدسة والأنبياء والرسل والملائكة.

الدين ينظم الأسرة، وعلاقات القرابة والزواج، وينظم الحياة الاقتصادية وينميها لصالح الإنسان والمجتمع ويرسم معالم الحياة التربوية والتعليمية والثقافية في المجتمع بحيث تخدم مبادئ الدين وترسخ فيه قيمه وتعاليمه عند الأفراد والجماعات وبذلك يكون يعتبر ركنا مهما وأساسيا من أركان البناء الاجتماعي.

ودوره في وضع المبادئ والقيم السلوكية وتهذيب الفرد وتنمية شخصيته وتفجير قدراتها الإبداعية والخلقة، كما أن الدين له تأثير واضح على المؤسسات أو الأنظمة الاجتماعية التي يتكون منها البناء الاجتماعي ويكون تأثير الدين في البناء الاجتماعي من خلال ما يأتي:

- يزود الدين مؤسسات أو نظم البناء الاجتماعي بالعديد من الضوابط والأحكام والقوانين المحددة لسلوك الأفراد والجماعات وعلاقاتهم الإنسانية، فمثلا يؤثر في النظام الاقتصادي إذ يمد بقواعد السلوك الاقتصادي كالإخلاص في العمل، وزيادة الإنتاج وعدم التبذير، الموارد الاقتصادية والاستفادة منها في تنمية المجتمع وتطويره.

- يؤدي الدين دوره الكبير في قوة الإيمان عند الأفراد مهما تكن النظم الاجتماعية أو المؤسسات التي ينتمون إليها، وقوة الإيمان تدفعهم إلى الجهد والعمل لتنمية المؤسسات وزيادة درجة فاعليتها في المجتمع⁽¹⁰⁾.

- يسهم الدين في تكامل شخصية الفرد وتوازنها بحيث لا تتأثر هذه الشخصية بدوافع الغريزة والشهوة، وتكون حازمة في التصدي للأعمال الخبيثة والمنكرة، وتسارع في فعل الخير والفلاح، فالدين يسهم في بناء الشخصية عن طريق التنشئة التي تكون داخل المؤسسات الدينية وتاريخها.

- يؤدي الدين دوره الكبير في السيطرة على سلوكية المواطن وضبطها طالما أن الدين هو من الوسائل المهمة للضبط الاجتماعي، علما أن لكل مؤسسة من مؤسسات المجتمع وسائل ضبطها الاجتماعي التي يأتي في مقدمتها الدين.

ويقول أحمد ابن نعمان في هذا الصدد "يعتبر الدين من أقوى النظم الاجتماعية التي عرفتها المجتمعات البشرية منذ بدء الخليقة، ولئن اختلف العلماء في تحديداتهم لماهيته، وتضاربت آرائهم حول مصادره، وأسباب وجوده في جميع أطواره الثقافية عبر التاريخ، وأن له علاقة تأثير وتأثر ببعض النظم السائدة في المجتمع لعلاقة الإنسان وارتباطه بواقعه الاجتماعي⁽¹¹⁾".

لا يمكن الاستغناء عن الدين مهما بلغ المجتمع البشري من تقدم وتطور، ذلك أن الدين يسهم في بناء المجتمع وتنميته في جميع الجوانب، فلقد جاء الدين لإصلاح حال الأفراد وتقوم أفكارهم وسلوكهم وتطوير مستوى حياتهم وحثهم على الالتزام بالقيم الحميدة والابتعاد عن المحرمات والخبائث والشُرور التي تضر بالناس وتسيء إلى المجتمع، إن من أهم واجبات الدين العمل الصالح الذي يضمن استقامة المجتمع ونهضته وقدرته على تحقيق أهدافه، فهو ينظم الحياة الاجتماعية من خلال مؤسساته التربوي، كالمساجد التي تجعلهم الأفراد متمسكين بالأمر الديني والأخلاقية حيث تؤدي دور العبادة دورها الفاعل في الأفراد المجتمع⁽¹²⁾.

التعليم الديني في الجزائر ومؤسساته:

لقد مرت التربية بمؤسساتها بمراحل مختلفة متماشية مع الأحداث التاريخية والتطورات الاقتصادية والاجتماعية للبلاد، ولقد انتشر التعليم الديني ومؤسساته في ربوع الجزائر نتيجة دخول الإسلام إلى الجزائر حيث انتشرت المساجد والكتاتيب والزوايا وصولاً إلى المدارس النظامية والجامعية.

المؤسسات التعليمية الدينية في الجزائر:

كان التعليم الديني في الجزائر مقتصرًا على الزوايا والكتاتيب لتحفيظ القرآن الكريم التابع للصوفية، كانت مدارس للتربية والتعليم، وتهيئة النشء للمعاهد الإسلامية العالية، حيث يتخرج منها علماء وأئمة ينتشرون في المدن والأرياف وأيضًا المعلمين والمرشدين الدينيين، وكانت محط الرحال لطلبة القرآن واللغة العربية، والعلوم الإسلامية، استمر وجودها طيلة الاحتلال الفرنسي، فكانت حصنًا من حصون الثقافة الإسلامية، ومنهلاً للغة العربية، ومدرسة للتربية الدينية، وفي زوايا القرآن والعلم والتربية والكتاتيب نشأ وترعرع المصلحون والمجاهدون الأولون أمثال الأمير عبد القادر، والشيخ عبد الحميد ابن باديس، والشيخ البشري الإبراهيمي ... وغيرهم.

إن هذه الزوايا كان لها الدور الكبير في حماية العقيدة الإسلامية من حملات المبشرين التنصيرية بالجزائر أيام الاحتلال، وفلي الحفاظ على قراءة القرآن الكريم وبقاء قيمه رغم الثقافة الاستعمارية التي سادت ربوع هذا الوطن⁽¹³⁾.

منذ القدم عمل المجتمع الجزائري على الاهتمام بتربية الأطفال عن طريق تعليمهم بالكتاتيب القرآن الكريم ومبادئه، وتواتروا على ذلك جيلاً بعد جيل ومن بين المؤسسات التربوية الإلزامية الموجودة بالجزائر والتي ساهمت عبر

العصور في تربية الطفل واهتمت به نجد المؤسسات التربوية الإسلامية فمن المساجد والكتاتيب والزوايا اتخذها المسلمون مراكز التعليم الديني لأبنائهم ليتعلموا فيها القرآن ومبادئ الدين الإسلامي الحنيف.

1- المسجد: لعبت المساجد دورا تربويا هاما حيث كانت تقوم بوظائف عدة من أهمها أنها كانت دورا للعبادة والصلاة، وهي مركزا تربويا وثقافيا كما أنها أماكن للفتوى، وأصبحت مع مرور الوقت أصبحت المساجد أماكن للعبادة ومعاهد للعلم والتعليم في آن واحد⁽¹⁴⁾.

2- الكتاب: يقول ابن منظور في كتابه "لسان العرب": "الكتاب" موضع تعليم الكتاب أي الكتابة، وكان الكتاب أحد مراكز التعليم في الإسلام، وقد يطلق على الكتاب أحيانا اسم "مكتب" ومكان الكتابة عبارة عن مكان مستقل أو غرفة في منزل أو حجرة مجاورة للمسجد وللكتاب عدة أسماء تختلف باختلاف المناطق.

3- الزاوية: هي بيت من البيوت بينها بعض الفضلاء لإيواء الضيوف وقراءة القرآن، وذكر الله تعالى وتعليم القرآن.

أهم أعمال الزوايا التربية والتعليم القرآني إلى جانب القيام ببعض أعمال البر والإحسان، وزيادة على أعمالها الثقافية فإنها كانت مركزا للغرباء والفقراء، وملاجئ للمجاهدين والفدائيين أيام الثورة التحريرية ضد الاستعمار. ولا زالت الزوايا في الجزائر تقوم بدورها التقليدي حتى الآن⁽¹⁵⁾.

وقد كان لانتشار المدارس التقليدية والمحاضر القرآنية والزوايا دور رائد قبل احتلال الجزائر 349 زاوية في مختلف أنحاء الوطن، وقد اعترف بما ذكرنا "موريس بولارد" Maurice Paulard في كتابه "تعليم الأهالي في الجزائر"، وكذلك أوجين كومبس "Eugene Comps" في تقرير قدمه لمجلس الشيوخ

بفرنسا في فبراير 1894، والجنرال "فيالارد" (Phialard) لاحظ عام 1834 انتشار القراءة والكتابة واحتواء القرى والمدن والمداشر على المدارس مما يصل إلى ألفي مدرسة ما يناهز هذا العدد.

يقول ليون بيكي (LeonBeki): "إن التعليم في الجزائر الآن (1891) قائم تحت إشراف الأهالي أنفسهم، والزواية حيث يتعلم التلاميذ القرآن وتفسيره هي المؤسسة التعليمية الوحيدة في المستعمرة".

المدارس القرآنية:

انتشرت المدارس الابتدائية في الجزائر في المدن والقرى، مما أدى إلى ندرة الأمية ومن أهم المناطق التي انتشرت فيها المدارس، تلمسان، قسنطينة، العاصمة ومازونة.

حيث اشتهرت "تلمسان" بمدارسها وعلمائها قبل دخول العثمانيين وكتابها على الأقل خمس مدارس، إلا أنها تدهورت في العهد التركي، ولم يبقى منها إلا اثنان.

لم يشجع العثمانيون التعليم في الجزائر، ومع هذا لم يمنعوا انتشاره لأن بناء الكتاتيب والمساجد مسؤولية اجتماعية، كانت نهاية العهد العثماني في الجزائر نهاية للمؤسسات الدينية والتعليمية الحرة ليدخل عهد المضايقات والمصادرات وطلب الرخص في عهد الاحتلال الفرنسي⁽¹⁶⁾.

وفي عهد الاحتلال الفرنسي أول ما عمد له الاستعمار الفرنسي في الجزائر مطاردته لعلمائه وتشريدتهم، فاستشهد بعضهم، وهاجر آخرون، وهمت عدد من الكتاتيب والزوايا، حيث كانت رغبة السلطات المركزية الفرنسية غزو الجزائر ثقافيا وأخلاقيا عن طريق المدرسة، وفي عام 1870 كانت هناك 36 مدرسة ابتدائية عربية، فرنسية، فعارض الجزائريون إرسال

أبنائهم إلى المدارس الفرنسية ولم يرفع هذا الإقبال إلا بعد الحرب العالمية الأولى حيث صار التعليم مطلباً بالنسبة لبعض المتكونين، مما زاد ازدهار التعليم العربي الإسلامي أيضاً ظهور جمعية العلماء المسلمين إلى حيز الوجود وعملها على إحياء الدور والتكوين في المساجد والزوايا والكتاتيب للدفاع عن العروبة والإسلام في الجزائر، وظهرت رسمياً في 05 ماي 1931 تأسست جمعية العلماء المسلمين من بين علمائها الشيخ البشير الإبراهيمي، وعبد الحميد ابن باديس وغيرهم، وساعدت هذه الأخيرة على نشر التعليم العربي الإسلامي في الجزائر.

- إن مرحلة ما قبل المدرسة نالت في مجتمعتنا اهتماماً بالغاً في ظل التغيرات الاجتماعية والاقتصادية، وهي مرحلة غنية بالإمكانيات التعليمية،— إذا ما استغلت استغلالاً علمياً مناسباً، تؤثر إيجاباً على نمو شخصية الطفل وبالتالي تهيئة لاستقبال برنامج المدرسة الابتدائية.

- هناك من الأولياء من اختيار المدارس القرآنية كمؤسسة تربوية للتعليم التحضيري لأبنائهم قصد تنمية سلوكهم، وتفتح قدراتهم، وتزويدهم بالخبرات وإكسابهم المعارف من جهة، وتعليمهم وتحفيظهم القرآن الكريم من جهة ثانية قصد تهيئتهم للدخول الرسمي إلى المدرسة.

- إن المدارس القرآنية في الجزائر تستقبل الأطفال الذين تتراوح أعمارهم ما بين السن الرابعة والسادسة، ويتوزع هؤلاء الأطفال على فوجين فوج الصغار ويضم الأطفال الذين تتراوح أعمارهم ما بين الرابعة والخامسة من العمر، أما الفوج الثاني فهو فوج للكبار ويضم أطفال القسم التحضيري.

- يتعلم أطفال القسم التحضيري حفظ بعض من القرآن الكريم ابتداء من سورة "الفاتحة" إلى سورة "الأضحى"، وهو الحد الأدنى، إضافة إلى المبادئ الأولية للقراءة والكتابة والحساب، ويشرف على هذه الأقسام معلم أو معلمة

وطريقة التدريس هي الطريقة الصوتية الحرفية في تعليم القراءة والكتابة وهي نابعة من الطريقة التركيبية، وهي التي تبدأ بالجزئيات كالبدء بالحروف الهجائية، أو بمنطوق الحروف، ومسمياتها، ثم الانتقال بعد ذلك إلى المقاطع والكلمات والجمل.

عموما إن المدارس القرآنية تعتمد في برنامجها على التحفيظ وتنمية ملكة الحفظ عند الطفل وتنمية قدراته اللغوية، وإثراء رصيده اللغوي تدريجيا.

لعبت المدارس القرآنية دورا هاما في تنشئة الأجيال وتحفيظهم القرآن الكريم، وبعض مبادئ القراءة والكتابة والحساب عبر العصور، والفضل في بقاء مقومات الشخصية الجزائرية يعود إلى التعليم القرآني بمعاهده المختلفة، ولا تزال هذه المؤسسات موجودة إلى يومنا هذا. تستقبل الصغار لتنشئتهم وتربيتهم دينيا. كما أصبحت المدارس القرآنية اليوم تقوم بالتعليم التحضيري كغيرها من المؤسسات التربوية النظامية، وتكون الأجيال في كل جوانب شخصيتهم تربويا ونفسيا واجتماعيا، وأخلاقيا وعقليا، وتساهم في تربية الأطفال لاستقبال برامج المدرسة الابتدائية.

يقول عبد الرحمن بن خلدون (ت 808 هـ) في كتابه "المقدمة": "إن القرآن نزل بلغة العرب وعلى أساليب بلاغتهم، فكانوا يفهمونه، ويعملون معانيه فمفرداته وتراكيبه" (17).

واقع التعليم الديني في المنظومة التربوية الجزائرية:

يدخل تدريس القرآن الكريم في المنظومة التربوية الجزائرية ضمن برنامج مادة التربية الإسلامية، التي دخلت ضمن المنهاج التعليمي مع بداية الاستقلال باسم التربية الدينية، لأن كما يقول الدكتور فضيل: "النظام التربوي الذي ورثناه غداة الاستقلال كان نظاما لائكيا علمانيا لا يدرج

الدين في برامج التعليم، لذلك لم يكن هذه المادة أي وجود رسمي في التعليم، لا بصفتها مادة قائمة بذاتها، ولا بصفتها نشاطا مندمجا مع الأخلاق، أو المضامين الأخرى، وقد تطور التعامل مع هذه المادة شيئا فشيئا إلى حين تأسيس النظام التربوي الوطني الذي رسمها وأعاد لها اعتبارها، وعمق الاهتمام بها، وأعطاهها مصطلح "التربية الإسلامية". ورفع حجم توقيتها، ومن الطبيعي أن تصبح التربية الإسلامية بعد استرجاع السيادة محورا من محاور التعليم⁽¹⁸⁾.

حيث نصبت لجنة وزارية مشتركة لمناهج التربية الإسلامية ضمت ممثلين عن وزارات الشؤون الدينية والأوقاف والمجاهدين والتعليم العالي وممثل عن المجلس الإسلامي الأعلى تحت إشراف وزارة التربية الوطنية مهمتها مراجعة مناهج التربية الإسلامية في التعليم الأساسي، وخرجت بتوصيات قامت الوزارة على أساسها بإدخال تعديلات جزئية محدودة، وهذه التعديلات فيما يتعلق بالتعليم القرآني خصصت بنقل بعض السور من مستوى إلى مستوى تراعي مستوى التلميذ في كل مرحلة⁽¹⁹⁾.

لقد نصّ الدستور الجزائري على أن الإسلام هو دين الدولة، والشعب الجزائري هو شعب مسلم معتز بانتماؤه الإسلامي، ومن هنا فإن دور المدرسة في تعليم الدين الإسلامي وتربية أفراد متشبعين بمبادئ إسلامية هو دور محوري وأساسي داخل في المنظومة التربوية الجزائرية.

ولقد جاءت أهداف تعليم مادة التربية الإسلامية في مرحلة التعليم الابتدائي ككفاءة ختامية متمثلة في قدرة المتعلم على التحكم في التعلّمات الأساسية للمادة من خلال:

- التلاوة (القراءة) السليمة والاستظهار الصحيح المحفوظ من القرآن الكريم والأحاديث النبوية، وفهمها فهما مجملا ومبسطا.

- التمسك بمبادئ العقيدة الإسلامية بشرح أركان الإيمان شرحا مجملا ومعرفة آثارها في الحياة.

- ممارسة السلوكات الإيجابية الفردية والأسرية والاجتماعية وفقا للقيم الإسلامية.

- الاقتداء بالرسول صلى الله عليه وسلم والأنبياء والصالحين والأئمة بمعرفة محطات لسيرتهم.

- المحافظة على الصحة والبيئة بتطبيق الآداب والقواعد الضرورية.

- توزعت محتويات التربية الإسلامية على خمس محاور أساسية هي: القرآن الكريم، الحديث الشريف، العقيدة، العبادات، الأخلاق، والسلوك وأخيرا السيرة والقصص⁽²⁰⁾.

الجامعة:

بداية التعليم الجامعي جاءت بعد الاستقلال في الجزائر، حيث مرت التعليم العالي بعدة مراحل مسيرة للتحويل السياسي والاقتصادي والاجتماعي، وفيما يخص التعليم الديني فتحت الجامعة الإسلامية - جامعة الأمير عبد القادر - بقسنطينة سنة 1984م ثم تلاها افتتاح تخصص الشريعة الإسلامية في باقي الجامعات الجزائرية⁽²¹⁾.

"النظام التربوي الجامعي كتنظيم رسمي يشكل الأداة الرئيسية لعملية التنشئة الاجتماعية، إذ تعتبر المقررات الدراسية والاتجاهات والتمثيلات القيمة، وأنواع السلوكات البيداغوجية والثقافية قنوات فاعلة لترويج الثقافة أو الإيديولوجية المهيمنة على الصعيد الثقافي والاجتماعي والشمولي⁽²²⁾.

وبذلك تعتبر مؤسسة تربوية اجتماعية لها وظائف معينة، وهي تقدم العلم والمعرفة والخبرة كحلقات مترابطة من الثقافة باعتبارها جزءا من المجتمع وتضفي إلى المادة رصانة البحث.

والجامعة كمجال تربوي هي إسقاط أو صورة تعكس الهياكل الاجتماعية والنظام الاجتماعي، ولهذا تؤثر على ذهنيات وتصورات الطلبة وشخصياتهم.

خلاصة:

إنّ الانتشار الواسع للمؤسسات الدينية بما فيها الكتاب والمساجد والزوايا والمدارس القرآنية منذ القدم إلى يومنا هذا وإدراج تدريس التربية الإسلامية كمادة مفروضة من طرف المنظومة التربوية الجزائرية في جميع أطوارها، بالإضافة إلى تخصص الشريعة الإسلامية في الجامعة، دليل على أنّ التربية الدينية لها تأثير في شخص الفرد الجزائري من خلال الدور التربوي الذي تقوم به مؤسساتها التربوية النظامية وغير النظامية.

إذا كانت المدرسة هي المؤسسة النظامية التي أوكل لها المجتمع مهمة القيام بوظيفة التربية النظامية وعملاتها التي تتضمن إكساب الأفراد القيم الدينية المرغوب فيها، فإنّها بذلك مدعوة على تكوين الشخصية المسلمة المساهمة في الحفاظ على النسيج الاجتماعي.

وعلى هذا الأساس فإنّ تكريس القيم الدينية يساهم في بناء تمثيلات إيجابية لصفات الفرد المسلم، ومن هنا أيضا نستنتج أنّ دراسة التربية الإسلامية كنتاج لتمثيلات اجتماعية ودينية ساهمت في بناء المؤسسة التربوية.

تتجسد صور التربية الدينية في المجتمع من خلال كل مؤسسات التربية ذات الصلة بالتربية الدينية بدءا بالأسرة ودورها الذي تقوم به في عملية التنشئة الاجتماعية والدينية، ودور العبادة من المؤسسات المهمة والمساهمة في التربية الدينية للنشء، إذ يعتبر المسجد من أهم المؤسسات التعليمية الدينية، وهو النواة الأولى للمجتمع الجزائري الإسلامي لدورها في محاربة الفساد

ودعم المجتمع بالقيم الخلقية الإسلامية وتنميتها لدى الأفراد ودفعهم إلى الالتزام بها في حياتهم العامة والخاصة.

ويولي ذلك المدرسة والجامعة لما لهما من أهمية في اكتساب القيم الدينية، وكذلك دور وسائل الإعلام كلها مؤسسات تساهم في تربية وتشكيل شخصية الطفل والتأثير على الفرد وتمارس كل تلك المؤسسات تأثيرات متباينة على الفرد تبعاً للمرحلة العمرية التي يمرّ بها، ومن حيث المبادئ التي تسعى لتوكيدها من قيم دينية واتجاهات طبقاً لظروف المجتمع.

الإحالات:

- (1) - ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، ط1، بيروت، 1990، ص 24.
- (2) - د. سعيد إسماعيل علي، أصول التربية الإسلامية، دار السلام للطباعة و النشر، القاهرة، 2012، ص 10.
- (3) - د. عبد الرحمن النقيب، منهجية البحث في التربية، رؤية إسلامية، دار الفكر العربي، ط1، القاهرة، 1998، ص 75.
- (4) - د. محمد أحمد بيومي، الأنثروبولوجيا الثقافية، الدار الجامعية للطباعة و النشر، الاسكندرية، 1983، ص 215.
- (5) - المرجع نفسه، ص 184.
- (6) - محمد صالح سملك، فن تدريس التربية الدينية و ارتباطاتها النفسية و أنماطها السلوكية، دار الفكر العربي، القاهرة، 1998، ص 25.
- (7) - حسن محمد الشرقاوي، نحو علم النفس الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة، 2002، ص 48.
- (8) - نفس المرجع، ص 51.
- (9) - نفس المرجع، ص 52.
- (10) - د. مراد زعيمي، علم الاجتماع والمرجعية الإسلامية، دار قرطبة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011، ص 101.
- (11) - د. أحمد بن نعمان، التعريب بين المبدأ والتطبيق في الجزائر، والعالم العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائري 1981، ص 99.
- (12) - مالك بن نبي، ميلاد المجتمع، ص 86.

- (13) شهبي عبد العزيز، الزوايا والوفية والقراية والاحتلال الفرنسي في الجزائر، دار الغرب، 2007، ص 09.
- (14) مجلة المسجد، المرجع السابق، ص 35.
- (15) -شهبي عبد العزيز، مرجع سابق، ص 32.
- (16) - نفس المرجع، ص 18.
- (17) - عبد الرحمن بن خلدون، مقدم ابن خلدون، دار الإمام البخاري، الجزائر، 2007، ص 95.
- (18) - د. فضيل عبد القادر، المدرسة الجزائرية، مرجع سابق، ص 14.
- (19) - نفس المرجع، ص 48.
- (20) - د. بوفلحة غيات، إشكالية المواطنة في المدرسة الجزائرية، دار القدس، وهران، الجزائر، 2012، ص 208.
- (21) - بوفلحة غيات، مرجع سابق، ص 134.
- (22) - محمداني نسيم، الجامعة الجزائرية بين الأصالة والمعاصرة، دار قرطبة، الجزائر، 2013، ص 173.

Sefia SNOUCI
Grade Magister, doctorante
Université Aboubakr Belkaid Tlemcen
Axe de Recherche: Anthropologie
E.Mail: siesife1980@yahoo.fr